الرؤية الفنية للأدب الإسلامي في العصر الحديث

للدكتورة وفاء إسماعيل البردان

عرض : محمد الصاوي
مصر

في السادس من ربيع الآخر ١٤٢٢هـ الموافق ٢٧ من يونيو (حزيران) ٢٠٠١م، وعلى مدى ثلاث ساعات ونصف الساعة، شهدت كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية - جامعة الأزهر ميلاد عمل علمي «أكاديمي» رفيع المستوى .

فقد اجتمعت اللجنة المشكلة للحكم على الرسالة المقدمة من الباحثة / وفاء إسماعيل عبدالرزاق البردان لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الإسلامي، وعنوانها : «الرؤية الفنية للأدب الإسلامي في العصر الحديث» وبعد المناقشة قررت اللجنة بالإجماع منح الطالبة درجة العالمية (الدكتوراه) بمرتبة الشرف الأولى».

وتكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من أصحاب الفضيلة:

- أ. د عبدالله حسين علي سليمان، أستاذ الأدب والنقد المتفرغ بالكلية، رئيسا ومشرفا.
- أ. د صفوت يوسف زيد، أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية في إيتاي البارود - جامعة الأزهر، عضوا.
- أ. د محمد سعد فشوان، أستاذ الأدب والنقد بالكلية، عضوا.

استهل د. عبدالله حسين الجلسة العلمية بكلمة جامعة عن سمو الأدب الإسلامي غاية ومنهاجا وصياغة ورؤية فنية، ونوه بشرف البحث في الأدب الإسلامي، وحيا جهود الباحثين فيه تنظيرا وتأصيلا وتطبيقا وإبداعا ونقدا وترجمة ومقارنة. وأكد أن الأدب الإسلامي إنما ينبثق عن التصور الإسلامي عن الله والكون والإنسان .

أما الباحثة / وفاء البردان فقدمت خلاصة عن عملها العلمي في رسالتها، فأوضحت أنها قسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

في التمهيد : تناولت علاقة ما بين الدين والأدب، في الآداب القديمة : المصرية والهندية والفارسية واليونانية والجاهلية . كما عرضت للتيار الإسلامي منذ ظهور الإسلام إلى بداية العصر الحديث.

أما الباب الأول وعنوانه : « التيار الإسلامي في العصر الحديث وأثره في الأدب »، فقد جعلته في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الجامعة الإسلامية وأعلام الفكر الإسلامي.

الفصل الثاني : الجماعات والجمعيات والجامعات الإسلامية، وصداها في الأجواء السياسية والاجتماعية.

الفصل الثالث: التيار الإسلامي وأثره في الأدب وفنونه منذ بداية العصر الحديث.

ثم الباب الثاني وعنوانه : «الأدب الإسلامي وفنونه» وجاء في فصلين:

الفصل الأول: مفهوم الأدب الإسلامي ونشأته واتجاهاته.

الفصل الثاني: الأدب الإسلامي وفنونه وأشهر أعلامه ونماذجه في العصر الحديث.

وكان الباب الثالث بعنوان: « الرؤية الفنية للأدب الإسلامي في العصر الحديث» وجعلته الباحثة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول : رؤية المبدعين.

الفصل الثاني: رؤية النقاد.

الفصل الثالث: رؤية الباحثة حول قضايا الالتزام في الأدب الإسلامي، وموقف الأدب الإسلامي من قضايا العلمانية والحداثة، ثم الأدب الإسلامي عند غير الناطقين بالعربية.

يمكن وصف هذا العمل بأنه « موسوعة جامعة»، فقد بلغت صفحاته ٩٤٥ صفحة في مجلدين كبيرين، ولن يستغني عنه باحث في الأدب الإسلامي، كما لن يسع باحثاً أن يغفل عنه، لأن الباحثة اختارت موضوع بحثها واعية بما يواجه الأمة الإسلامية من مؤامرات ودعوات منحرفة تستهدف النيل من عقيدتها وشريعتها ورصيدها الحضاري. وتدرك الباحثة تماما دورالأدب الإسلامي في مواجهة دعاة التغريب والعلمانية والحداثة.

أضاءت الباحثة عدة قضايا منها : موقف وسائل الإعلام من الأدب الإسلامي، وهو في مجمله موقف سلبي غير متحمس إن لم يكن مناوئاً أحيانا. كما سلطت الضوء على قضايا ترجمة الأدب الإسلامي من لغات الشعوب الإسلامية إلى العربية وبالعكس، ونظرت إلى قضايا الأدب الإسلامي في إطار علاقة الدين بالحياة في مجملها،وعلاقته بالإعلام والدعوة والتعليم .

تحدث أول المناقشين د. صفوت زيد فقال: « إنني سعيد بموضوع الرسالة التي تعد بحق وبلا مجاملة – ومن خلال وثائق نجاحها – موسوعة أدبية وعلمية ومعرفية لكل من يريد أن يعرف شيئا عن الأدب الإسلامي : فنونه وأعلامه وناقديه وحتى أعدائه ». لكنه أخذ على الرسالة قلة النماذج من إبداعات المرأة (١٣ نموذجا فقط)، وندرة النماذج الإبداعية من بلدان بعينها، إذ اكتفت الدراسة بشاعر واحد من تونس، وكاتب واحد من المغرب، وآخر من اليمن، وناقد عراقي واحد، وكاتب من إيران.

لم يوافق د. صفوت على إدراج اسم عبدالرحمن الشرقاوي ضمن دراسة الرؤية الفنية للأدب الإسلامي، وعلل ذلك بأن الشرقاوي إنما وظف الفكرة الإسلامية لخدمة التوجه اليساري . ثم نبّه د. صفوت إلى ضرورة التمييز بين الأدب الإسلامي الذي ولد مع البعثة النبوية، وبين مصطلح « الأدب الإسلامي » الذي ولد عام ١٩٧٦م على يد طيب الذكر أبي الحسن الندوي –رحمه الله . فالأدب قديم لكن المصطلح جديد.

وحذّر سعادته من متابعة بعض المؤرخين في انتقاص الدولة العثمانية وتشويه إنجازاتها في الذود عن بيضة الإسلام وديار المسلمين، وقال إنه لا يصح وصفها بأنها « المرحلة المظلمة»، لأننا – كما قال – وقعنا بعدها فيما هو أشنع من الظلام . واعترض د. صفوت على تعبير : « الأمم الإسلامية » مثلما اعترض على عبارة :«الأمتين العربية والإسلامية».

أبرز تعليقات د. صفوت كان اعتراضه الشديد على ذكر «الأسطورة» في سياق بحث عن الأدب الإسلامي، فهو أدب لا يتعامل مع الأسطورة بتاتا، ولا عبرة بكلام بعض منظري اليسار من فلول الشيوعيين عن « هاروت وماروت» مثلا. وفي ختام مناقشته أثنى على البحث الذي اشتمل على ألفين ومئة وستين بيتا من الشعر، وتناول خمسمائة وسبعين شخصية عربية، ومئة شخصية أوربية .

وحين تحدث المناقش الثاني د. فشوان تمنى للبحث مزيدا من الإجادة، فاقترح على الباحثة أن تستكمل الحديث عن الأدب الإسلامي في بعض الأمصار كالجزائر وليبيا وموريتانيا . وذكر مثالا لما يحسن الرجوع إليه كتاب: «قصة الأدب في ليبيا العربية » بأجزائه الثلاثة للدكتور / محمد عبدالمنعم خفاجي. وسأل الباحثة عن مشاهير خلت منهم رسالتها – أو مرت بهم مرور الكرام – على رأسهم عمر أبو ريشة ومرتضى مطهري ومحمد إقبال.

وحذر د. فشوان الباحثين من الاغترار بالأسماء اللامعة التي يتم تسويقها عبر الإعلام والجوائز الرسمية، وقال إن جوائز الدولة ليست مقياسا للإبداع أو الأصالة . ولن ينسى جمهور الحاضرين توضيح د. فشوان للمعنى المقصود من عنوان المجموعة الشعرية : « طيفان على نقطة الصفر» لصاحبها أحمد بهكري.

كاتب هذه المتابعة يهنئ الباحثين والمبدعين وعشاق الأدب بهذا الوليد الجديد في شجرة الأدب الإسلامي الطيبة: أصول ثابتة وفروع في السماء .

ويطيب لي أن أدعو رجال التربية والتعليم إلى الاستفادة من هذه الدراسة العلمية الرصينة – وغيرها – في تصميم مقررات دراسية في اللغة والأدب والنقد والبلاغة، ولا سيما أن الدراسة قد ضمت معالجة ٤٥ قصة و ٣٣ مسرحية وتمثيليتين وستين مقالا و ٢١٦٠ بيتا من الشعر.

وأدعو الباحثة الدكتورة وفاء البردان إلى أن توظف جهدها في ميدان التربية والتعليم، فما أحوج أبناء المسلمين إلى تشرب روح الأدب الإسلامي في الفكر والوجدان واللغة والسلوك. وما أحوجنا إلى ترسيخ مفهوم الأمة الواحدة في مجابهة النعرات القطرية والطائفية، وما أحوجنا إلى توثيق الاعتصام بهذا الدين العظيم في مواجهة أعاصير العولمة والتبعية السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والأمنية. ■